

«الداخلية» أساس الحكم والحداثة في مصر

بداية الحداثّة في مصر ارتبطت بالجيش. ولكن تشكل الحداثّة كاليات حكم وإنتاج وإدارة للحياة تمركزت حول «الداخلية». فأغلب مكونات الحكومة (أي فن إدارة السكان وحياتهم بالكامل) تقع داخل مؤسسة الداخلية أو على هامشها. وفي الوقت الذي تم تكثيف الحداثّة وتطبيقها كمنظومة حكم، غاب الجيش، إما بسبب معاهدة لندن 1840 والهزيمة، أو بسبب فشل الثورة العربية والاستعمار 1882، وحضرت الداخلية بكل قوتها. هيمنة الداخلية على الحكومة، تشبه ضبعاً أسود قايماً على صدور الجميع في الفرقة. بينما لا أحد يراه.

من القلعة إلى عابدين

ظلت مصر تُحكم من «القلعة» حتى استكمل نهائياً بناء قصر عابدين وشبكة مؤسسات الدولة حوله 1872. وظهرت أبرز مؤسسات الحكم الحديثة في مصر بالقرب من بعضها: القصر ووزارة العدل ووزارة الداخلية. بينما لم تتواجد وزارة الحربية ضمن هذه التشكيلة، وكان الأمر دلالة عميقة عما ستكون عليه الأوضاع في التأسيس الجديد والمركزي لمصر الحديثة. شكلت عابدين وقصرها النقلة الأخطر في الحكومة في مصر، فانتقل الحكم من خارج المدينة إلى قلبها، بل يمكن القول إنّه تم حينها إنتاج المدينة الحديثة. وهذه كانت المحطة الأخيرة في اتخاذ المؤسسات الحديثة شكلها الأخير وحضورها في مصر: تضمن من جهة الولاء السياسي للحاكم وتحافظ على شرعيته، وتوفر مؤسسات تخترق الأنسجة الاجتماعية للسكان وتتدخل في إنتاج حياتهم وضبطها، حيث لم تعد تأتي من الخارج لإخضاع، وإنما صارت في الداخل، لإدارة.

جاءت هذه النقلة للدولة من خارج المدينة إلى داخلها، في الوقت نفسه الذي بدأ يتم تأسيس مدن القنال والاحتياج إلى الضبط البوليسي وإلى شكل جديد من وضع مؤسسات الانضباط وعلاقتها برأس المال العالي داخل هذه المدن (وهو ما يشير إليه الباحث إبراهيم الهضيبي). لقد تداخلت مكينزمات الانضباط الحديثة مع العملية الرأسمالية والبرعية في تاريخ مصر الحديث. نحن هنا أمام إنشاء المدن الحديثة، وإنشاء أهم مصدر للداخل في مصر (قناة السويس) على صلة وحييدة بجانب من رأس المال العالي، سواء أكان بضائع أو مواد خاما، وأهم وأكبر مصدر ريعي في مصر حتى الآن. وقد رُبط الانضباط بالعلم في المدينة بالبوليس. ويشير الهضيبي إلى أن الداخلية بدأت تضطلع بمهام مراقبة عمال شركة قناة السويس والمساجد والكنائس وكافة أشكال الانضباط والسيطرة السياسية والاجتماعية. وفي هذا، لم يكن للجيش أي دور حقيقي.

إحباط الثورة العربية وهيمنة الداخلية

تسببت هزيمة الثورة العربية في ترسيخ هيمنة الداخلية على الحكم في مصر، التي أصبحت المؤسسة الأكثر قرباً من الحاكم وولاء له. وشهدت تلك المرحلة بداية وضع لبناات جهاز «أمن الدولة»، حيث تم إنشاء قسم مخصوص لمطاردة العربابين وملاحقتهم.. الذي تطور إلى «جهاز أمن الحدود» لمراقبة الثورة المهدية في السودان عن قرب. ومع استعمار مصر، ركّز مشروع اللورد كرومر، الذي يعتبره البعض أهم مرحلة في تشكيل السلطة الحديثة والمؤسسات في البلاد، على محاولة استكمال التحول من أشكال السلطة القديمة إلى تلك الحديثة، حيث تعتني السلطة بالحفاظ على الجسد وضبطه وليس سحقه. وكانت الداخلية أهم مؤسسة في الحكم في عهد الاستعمار، بل كانت هي الناطق بما الحكيم من قبل المستعمر. في 1913 نشأ «القلم السياسي».

بؤس مقصورة الشعب في الصيف

يقطع ثوب كمروحة.. نغد الأكل وسخن الماء.. تمر عربة بيع مأكولات ومشروبات يسعر مضاعف، لكن ركاب الدرجة الثانية لا يمكنون الكثير من النقود. لدى أم هاتف واحد تعطيه لطفليها بالتناوب ليلعيا ويتزكاهن بسلام. لكنهما يتصارعان على الشاشنة، والجزن أن تكتيكات الإسكات وفض النزاع لدى الأم فاشلة. في رحلة الحميم هذه قل فخرى يقطارات بلادي. لكن فخرى بالبشر يزداد: للنساء صبر عجيب مع أولادهن. لو ترك الأمر للأب لرفع طفله وضرب به السقف والسلام. في القطار الكثير من العائلات المهاجرة، زواج مختلط، مغربي ملتج وفرنسية بالحجاب. مراكش أفضل لهما من سوريا. أفر في حال ملايين اللاجئين الذين يتحملون الحر في أماكن يبدو القطار أمامها جنة. يعلم الغربي العائد من الغرب بطفله ويطالع جريدة تعلن أن صفحتها الأولى بالبنط العريض أن الملك محمد السادس سيقضي عطلته الصيفية في جزيرة يونانية.

في المقصورة شابات بتنانير قصيرة جدا. لكن العرق يمنح الخيال من الاشتها. في الأريكة القابلة لشابات ترتدين سبعة أمتار ثوب. يبدو أن صاحبات التنانير مغربيات تعشن في أوروبا وتتصرفن بطلاقة وتضحكن برهافة تفتح القلب. رغم الحرارة فهن سعيدات، يبدو أن محارهن معطل. قطارات الغربة مكيفة بطريقة أفضل. قطارات الغرب غير مكيفة جيدا، وخاصة في مقصورة الشعب. يعتقد المهاجرون أن الحياة في المغرب فيها حميمية لا توجد في بلاد الغربية.

لدى الركاب الآن عيون حمراء ولامح مشدودة. كلما مر وقت زاد غضب الرجال خاصة.. يجلسون واضعين

ساقا على ساق بينما تدبّر الأمهات ضغط أطفالهن. أيدي الرجال فارغة إلا من هواتفهم.. نزع رجل حذاءه واستلقى على الكرسي وشخر وفيه مفتوح نحو النساء.

يصعب إغلاق الفم في ظل حرارة مرتفعة. شاب يتسلى بالحديث في الهاتف. في كل مرة يتصل يردد الجملة «إذا لم أتصل بك فلن تتصل بي؟». يضيف «اتصل بك

لأبارك العيد وأصل الرحم.. يبدو أن تحصيل الجمالات هو هدفه الوحيد. يستخون ما يسميه اندري مالرو حوارا استعراضيا، فما يقوله موجه لركاب المقصورة

17 | 1

استياء عام، تلاعب، صدامات طائفية: الزّباب في مواجهة غياب الدولة الجزائرية، «القصة» على مستويي الحدث والتحليل. ومعدلات تفوّق استثنائية في البكالوريا المصرية- مفرح أم مؤشر على كارثة لاحقة بالتعليم؟

جدل تموز العراقي: كيف يُقيّم 14 تموز 1958؟ وأليس الحنين للملكية اليوم تعلق باستقرار متوسهم؟ وفي الأردن تنمية.. للفقر، فكلمّا تكررت «برامج التنمية» ارتفعت معدلات البطالة والعوز.

استياء عام، تلاعب، صدامات طائفية: الزّباب في مواجهة غياب الدولة الجزائرية، «القصة» على مستويي الحدث والتحليل. ومعدلات تفوّق استثنائية في البكالوريا المصرية- مفرح أم مؤشر على كارثة لاحقة بالتعليم؟



سعد يكن - سوريا

حين آخر. ولكن جزءاً كبيراً من هذه البيروقراطية القابعية داخل مُجمّع التحرير تابع بالملكية لوزارة الداخلية. ولن يقلت نظرك من رمز الداخلية الاعم على أغلب الإدارات، فوجود جماعة الداخلية داخل المجمع لا يقتصر على التأمين، وهو هنا ليس بغرض القمع، بل إنهم هم الإدارة. والسلطة تسعى دوماً لترميز نفسها وخلق إشاراتنا وعلاماتنا لتعلن عن حضورها، وتقوم بتحديد مساحات نفوذها. وفي مجمع التحرير، لن يتركك نسر الداخلية أينما ذهبت، حتى داخل الراجيض. وعلى الرغم من خضوع قطاعات كبيرة ومهمة من البيروقراطية المصرية لإدارة الداخلية وتنظيمها، سواء داخل مجمع التحرير أو خارجه، مثل السجل المدني بشكل عام، فالجميع يلعب «البيروقراطية»، بينما لا أحد يتكلم عن الضباغ السوداء في الغرفة.

طاعوت البيروقراطية ومُجمّع التحرير

على مدار عقود، ربما ما يزيد عن نصف قرن، لم يتوقف المصريون عن نقد البيروقراطية وفسادها وتقولها. وصار «مجمع التحرير» أعظم رمز لإذلال المصريين ببنوبيا ومعنوبيا. ومع هذا لم يجرؤ المصريون على حرقه، ولم يقدم أحد على هذه الخطوة أثناء الثورات وموجاتها المختلفة، ولا حتى في انتفاضة 1977. لم يجرؤ أحد على هذه الخطوة لأن الجميع كان يعلم أنه هاهنا تقع حياة الأفراد، هنا أنت موجود داخل معادلة الحداثّة والسلطة والدولة التي لم تقتصر على ورقة عليها ختم النسر. ولكن من يحكم هذا المجمع؟ بالطبع البيروقراطية المصرية. والجميع يعلم قوتها وأهميتها في معادلة الحكم والارضاء الشعبي. وتعد المباحث العلمية أحد أهم الروافد المعرفية للداخلية حيث تقع بيدها أغلب أخبار المجتمع وعلاقاته ببعضه.

تحمل الداخلية في يدها ثلاث سلطات واسعة: البيروقراطية، القمع، المعرفة. وبالتالي، فهي أكثر مؤسسات الدولة اختراقاً للنسيج الاجتماعي عبر عدة أجهزة مختلفة بداخلها. فمثلًا جهاز المباحث العامة يقوم بإدارة العديد من المناطق السكنية الحضرية والريفية، وهو من يضبط التفاعلات الاجتماعية المختلفة، والأجساد الخطرة في المجتمع. ويشترك في تنظيم وتجميع الجريمة، بل ويتدخل نسبياً في إدارة السوق وبعض علاقات التجارة، هذا بالإضافة إلى دوره القمعي والقانوني. وتعد المباحث العلمية أحد أهم الروافد المعرفية للداخلية حيث تقع بيدها أغلب أخبار المجتمع وعلاقاته ببعضه.

إسرائيل مُهندسة فكراً وبنوبياً بحيث لا تقبل أي خسارة بل وحتى أي مضايقة لجبروتها: تهتز، حتى لو كان الأمر لا يعينها مباشرة، أو كان بديهيًا، وتحتاج ساعتها لاستعاض النّقة بنفسها التي تنزعزع بعقم. في السّلحة بالذّوي وبجيش عرمرم مجهز بكل ما هو حديث، لا تطيق أن يقع في الدنيا ما يخالف رغباتها ومطلق راحتها وهكذا، فلااتفاق النووي مع إيران يدفعها إلى الجنون. وقد قال نتنياهو عند التوقيع عليه كلاماً يليق فعلا بالجانين، من قبيل أن إسرائيل غير ملزمة به (؟) بينما الطلب الإسرائيلي الأصلي كان بسيطاً أن تشترك تل أبيب في مفاوضات فيينا! وهو استهول استعادة طهران لقدارتها المالية، وكان الطبيعي أن تبقى بلاد بحجم إيران محجوراً عليها بالقصاص.. وحرض أفاعي اليمين المحافظ الأمريكي التي خرجت تتكلم عن «هولوكوست» جديد يكاد يرتكبه أوباما، فاستحققت توبيخ إسرائيل نفسها، لأن التشبيه الأخرق موب بأسطورة ينبغي إبقاؤها في مرتبة قدس الأقداس.

اليوم تجري إسرائيل مناورة عسكرية شاملة، تستدعي الاحتياط وتستتفر كل الوحدات: الثالثة خلال أربعة أشهر.. وقبل أسبوع، وبجبة احتفال ديني يسهل الاعتماد به في

من تعبيرات ثورة «الهامش» في تونس: الفقراء يتدبرون حياتهم ويقيّمون أنماطاً جديدة لملانة.. وفي «بالف كلمة» و«حلم»، تحية إلى القدس وأهلها بمواجهة تهديدات المحتلين، مستوطنين وجنوداً.

جدل تموز العراقي: كيف يُقيّم 14 تموز 1958؟ وأليس الحنين للملكية اليوم تعلق باستقرار متوسهم؟ وفي الأردن تنمية.. للفقر، فكلمّا تكررت «برامج التنمية» ارتفعت معدلات البطالة والعوز.

استياء عام، تلاعب، صدامات طائفية: الزّباب في مواجهة غياب الدولة الجزائرية، «القصة» على مستويي الحدث والتحليل. ومعدلات تفوّق استثنائية في البكالوريا المصرية- مفرح أم مؤشر على كارثة لاحقة بالتعليم؟

ومن خلال هذا الجهاز يمكن رؤية المجتمع كشبكات ومجموعات من الفاعلين وأصحاب المصالح، وبالتالي يمكن تقطيع وتفكيك أوصاله، فلا يعود كتلة مجهولة وغامضة. كما أن كل شيء يعمل داخل هذه البلد له مباحث خاصة به، فهناك مباحث التنمية، مباحث الكهرباء، مباحث السباحة إلخ... ثم يأتي بعد ذلك الجهاز الأهم والأخطر وهو «أمن الدولة»، وهنا نحن نتحدث عن جهاز يتحكم في كل من اللغة والخطاب والإعلام والأجساد، ويحتكر جانباً كبيراً من السيادة والمعرفة في المجتمع. وهو الجهاز السيّد، المتحكم بوزارة الداخلية نفسها. وهذا الجهاز هو الأكثر هيمنة وأهمية في تاريخ مصر الحديث، منذ نشأته في 1913 على يد الإنكليز أو إرهاباته الأولى بعد 1882.

يدخل المجتمع في نوعية مختلفة عند «وضعه» على جهاز أمن الدولة: يبدأ بالتحلل إلى جماعات سياسية، طوائف، موالين للسلطة وأعداء ومعارضين، وشبكات حكم وزبائنية، وشبكات معارضة... هذا الهيكل، وهذه المهات في تقسيم المجتمع وإدارته والتجنس عليه واختراقه واختراق المؤسسات الأخرى بالدولة لصالحه ولصالح الحاكم، هي نفسها منذ تشكله في 1913. وقد تزيد أو تنقص.. فمثلًا اختفى قسم «مكافحة الصهيونية» وظهر قسم مكافحة الجماعات الإسلامية، ومؤخراً «الثوار»، وهكذا. وفي كل تحول كبير يضيب مصر دولة ومجتمعاً، ويتغير فيه شكل الواقع ونمط الحياة، بل والتصور عن الكون نفسه، تبقى هذه المؤسسة بلا أي قطيعة تذكر. وتنجم من أي تغيرات جذرية إلا على مستوى الاسم. فمن القلم السياسي إلى مباحث أمن الدولة إلى الأمن الوطني، لكن الهيكل يظل هو نفسه والمهات والأدوار والأساليب ومساحات الهيمنة والنقوذ هي نفسها. وهذا لا ينطبق على جهاز أمن الدولة فحسب بل على الداخلية ككل. وبينما شهد الجيش المصري عدداً لا بأس به من خطوط القطيعة التاريخية في بنيته، ومن التغيرات الجذرية، لم تشهد الداخلية المصرية قطيعة واحدة، بعد توسيعها وتطويرها الكبيرين على يد اللورد كرومر أثناء الاستعمار الإنكليزي.

احتفظت الداخلية المصرية بأهم شكلين للسلطة في المجتمع الحديث: السلطة الانضباطية والسلطة الحيوية. والسلطة الانضباطية تحتفل بضبط الأجساد وحركتهم داخل مساحة ما، وتحديد ما هو مباح ومتاح وما هو ممنوع ومرفوض، وإنفاذ القانون على هذه الأجساد وتطويرها وخلق حركتها وتعيين حدودها. ويتمثل هذا كله من عند إدارة أول إشارة مرور حتى الجريمة والعمل السياسي والتحول إلى العنف والقهر إذا تطلب الأمر. وعلى الرغم من تمركز الطب الحديث حول الجيش في بداية مشروع محمد علي، انتقلت مسألة السلطة الحيوية، من حيث هي إدارة واسعة للسكان، تسعى لإنتاج حياتهم والحفاظ عليها وضبط ما يتعلق بها من أمراض وأوبئة إلخ.. إلى الداخلية المصرية. وظلت وزارة الصحة على سبيل المثال تابعة لوزارة الداخلية حتى 1936. وحتى اليوم، تسيطر الداخلية على عدة أشكال من السلطة الحيوية في مصر، فهي المسؤول الرئيسي واليد العليا في كل ما يتعلق بالأغذية والباعة المتجولين والأنشطة المتعلقة بتقديم الطعام في الشارع المصري..

يقبع جانب كبير من فن إدارة الحكم في مصر داخل سراديب الداخلية العميقة، وتحت أيدي هؤلاء الضباط الذين لم يتورعوا عن قهر وإذلال الشعب المصري، ولم يتراجعوا يوماً عن التضاد معه في كل مرحلة تاريخية حاسمة.. وبين الشيخ ريحان شمالاً وميدان لافولغي جنوباً، تكمن واحدة من أكبر العقبات الكأداء في طريق الحرية والتحرر في مصر.

علي الرجال

باحث في علم الاجتماع السياسي متخصص في الدراسات الأمنية، من مصر

الأقصى كتعويض؟

ميثولوجيا زاخرة، نَظْم اقتحام للأقصى، طلائعه مستوطنون وقوته الفعلية الجنود الإسرائيليون الذين حطّوا أبواب الحرم القدسي ودخلوا – باعترافيهم ويتوثّق مصور – إلى قاعات الصلاة نفسها.

القدس أصلاً مستباحة، يحتلها 210 آلاف مستوطن، بالفي العنف ومحامين من الجنود. وقد تعاطف الاستيطان فيها بنسبة 40 في المئة بين عامي 2013 و2014. ولم يبق فيها إلا ما نسبته 38 في المئة من سكانها من الفلسطينيين، يتعرضون لمضايقات مرعبة بقصد تهجيرهم أو يهجرون بالقوة عندما لا ينفع الترهيب. ثلاثة أرباعهم دون خط الفقر بينما نسبة البطالة بين الذكور تصل إلى 40 في المئة.

تحتاج إسرائيل لموازنة ما اعتبرته نكسة كبيرة لها (أي إقرار الاتفاق الدولي مع إيران). وبما أن الإغارة على غزة صارت أمراً مألوفاً لم يعد يفي بالغرض، فهي تتجه إلى القدس لقفط ثمار عقود من الاحتلال والقهر وخلفه القرارات الدولية في الشأن. فهل يكون الحدث الرمزي الكبير القادر على موازنة هوسها ذاك هو الأقصى نفسه، المنتهك مراراً ومضعف الأساسات بسبب الحفريات تحته، والذي أغلقت دروب وبوابات عدة مفضية إليه.. هل يكون الأقصى هو «التعويض»؟

نحلة الشهاال

قضية

استياء عام، تلاعب، وصدامات طائفية

المزاب في مواجهة غياب الدولة الجزائرية



(من الانترنت)

لجنة وزارية مشتركة مولجة البحث في احتمالات التهدة في مزاب، تفجرت مجددا ليل الرابع والخامس من تموز/ يوليو موجة العنف، أولا في بريان ومن ثم في بنورة، لتطال لاحقا الوادي بأكمله.

انهيار ممنهج؟

كما في السابق، توافق سكان مزاب على مختلف مشاريعهم على فضح موقف الحكومة التي اكتفت بخطوات رمزية وبمفاوضات بين ممثلين وهمين عن المذهب، مع استبعاد الفاعلين الحقيقيين في المجالات الاجتماعية والسياسية. كما فضح السكان أيضاً غياب أي برنامج اقتصادي في ظل وجود مصانع مهترئة عفى عليها الزمن. أضف إلى ما سبق، عدم جدوى برامج الدمج المهني في حين أن حقل حاسي رميل للغاز الطبيعي الذي يعد الأكبر في الجزائر لا يبعد سوى بضعة كيلومترات عن مدينة بريان التي شهدت فترة عمرانية سريعة وعشوائية إلى حد كبير. علاوة على ذلك، قدمت الوعود من أجل التعويضات وإعادة الإعمار من دون أن تقتزن بإجراءات عملية. فشل السلطات كان واضحا، يزيدُه وضوحا الحصانة التي نالها مرتكبو الأفعال الجرمية إبان الاضطرابات التي عززت الشعور بتخلي الدولة وأجهزتها الأمنية عن دورها. كثرت التسلّولات بشأن الإرادة الفعلية لإيجاد حل سياسي للأزمة وحول ما إذا كان هناك استقلال للوضع المحلي الذي يزداد هشاشة. أما الفوضى وانعدام الأمن اللذان تغللا بالطراد في هذه المنطقة، التي تعتبر تقاطعا للطرق العابرة للصحراء، فقد شكلا بيئة حاضنة لأسواط المافيا المتورطة في صفقات متعددة، من ضمنها المخدرات، وذلك بالتواطؤ مع عدد من المسؤولين. يواجه سكان وادي المزاب أيضاً تحديا إضافيا: ذاك المعلق بخطاب الكراهية الذي يروجُه بعض السلفيين بينما تبقى الإدارة والقضاء غائبين عن المشهد. دعوات القتل لا تصدر فقط عن الدعاة والمحرضين المحليين لكن أيضاً عن قنوات تلفزيونية سعودية وهابية، مثل سلسلة قناة «اقرأ» التي بثت منذ تشرين الأول/ أكتوبر 2013 أربع مرات برنامج «كرسي العلماء» الذي يعتبر الإباضيين من «الخوارج» ويبيع قتلهم.

عبر العديد من الفاعلين السياسيين والمراقبين عن قلق حقيقي إزاء تصاعد العنف مطلع تموز/ يوليو 2015. وتساءل البعض عن تورط «جزء من السلطة»، في ذلك، ولجّ البعض الآخر إلى تورط قوى خارجية موجودة في المزاب، كإرضية خضية لزعزعة الأمن في الجزائر، على غرار ما يحصل في بعض دول

تبقى المشكلة الأساسية متمثلة في فشل النظام الاستبدادي وعجزه إلى حد كبير، فقد أضعفته الصراعات الداخلية الهادفة لخلافة الرئيس بوتفليقة. كما تبدو السلطة عاجزة في وجه الانهيار الكبير لأسعار النفط وتآكل التوازنات الداخلية العشة. هذا التدهور في الوضع الاجتماعي – الاقتصادي يصبح مقلقا، لا سيما مع المناخ الجيوسياسي المنتشر في المنطقة ومع الضغوط المتزايدة التي تتعرض لها السلطة الجزائرية.

واقع وجود تلاعب في المزاب لا يعفي النظام من مسؤوليته في رسم مخرج سياسي يميز في حده الأدنى الفقة بين الجزائريين. ومن الضروري والعاجل الخروج من الإدارة الحالية للأزمة، المستندة إلى حلول مؤقتة، لأنه ومن دون أدنى شك، فإن خطر مواجهة الاختلالات الكبرى لم يعد سيناريو مستبعدا.

 سليمة ملاح
 رئيسة تحرير موقع Algeria Watch
ترجمة: هيفاء زعيتر

الرحل وشبه الرحل. هذه القدرة على احتواء المزابيين المتجذرين بعمق في وادي المزاب هي ثمرة تنظيم قائم مبني على مؤسسات سياسية ودينية متينة. وعلى مبادئ تضامن موروثة وروح مساواة تكفل نوعاً من الانسجام الاجتماعي والوضع الاقتصادي المستقر.

اختلالات متصاعدة

لم يعرف سكان القصور الاضطرابات الاجتماعية الناتجة من السياسة الاستعمارية، كما تمكنا من مقاومة انعكاسات الحداثة العنيفة. ولكن يبدو أن هذا المجتمع المحافظ والحمي استطاع بصعوبة مقاومة الضربات التي تعرض لها في العقود الأخيرة.

شهد وادي المزاب تنامياً ملحوظاً في عدد سكانه منذ الاستقلال، من دون أن تتوفر لديه الموارد لمواجهة الموجات الأخيرة من النزوح لسكان مناطق الشمال المضطربة في التسعينيات، الطامعين بالازدهار النسبي لهذه المنطقة. وهكذا ازداد عدد سكان وادي المزاب من 50 ألفاً بعد الاستقلال إلى حوالي 200 ألف (تحتوي الولاية أكثر من 350 ألفاً من السكان).

اليوم، يعتبر الإباضيون ديموغرافياً من الأقليات في موطنهم الأصلي. وقد حصلت تغيرات مفاجئة من حيث الشكل المدني وإمكانية الوصول إلى المياه والزراعة، أثرت جميعها على شكل المجتمع التقليدي الذي أفرغت بنيته السياسية من مكوناتها الأساسية من خلال المؤسسات العامة المستحدثة، من ضمنها المجالس البلدية.

عمّت حال من الاستياء غدتها نسب البطالة المرتفعة في صفوف الشبان، ولكنها لم تكن مقتصرة على هذه المنطقة. فاحتجاجات هزت منذاً أخرى دورياً، إلا أن حال التمرد في ولاية غرداية، حيث لا يتمتع السكان الوافدون حديثاً ببنى اجتماعية منظمة كما في مناطق أخرى، أخذت شكل المواجهات الطائفية – الأهلية.

في الماضي القريب، جرى احتواء الصراعات الناشئة بين المذاهب على نحو فعال. ولكن منذ سبع سنوات تقريباً، خيمت حال من التوتر الدائم. فقد عرفت مدينة بريان منذ العام 2008 اهتزازاً أمنياً ومواجهات عنيفة في الأحياء المختلطة، أسفرت عن سقوط خمسة قتلى وعدد من الجرحى وتدمير مئات المنازل. فيما أجبرت عائلات بأكملها على ترك منازلها وأماكنها، واضطر أطفال

كثر إلى ترك مدارسهم والانتقال إلى أخرى. وتحولت الطرق الوطنية رقم واحد إلى خط تماس يفصل بين المجموعتين المتنازعتين.

الهدوء الحذر الذي دام لأقل من أربع سنوات في المنطقة توقف في ربيع العام 2013 عندما تحولت مدينة غرداية من جديد مسرحاً للمواجهات. ومنذ ذلك الحين، عاشت مدن عدة أحداثاً عنيفة، ازدادت حدتها مع كل جولة عنف. وفي فترة تقارب 15 شهراً، أحصي أكثر من 10 قتلى بينما غادرت مئات العائلات

منازلها المتضررة أو المدمرة، كما دُست القبور والأضرحة. يبدو الوضع ميئوساً منه، خاصة أن السلطات لا تقدم أية حلول سياسية جدية. هذه السلطات اختارت إدارة أمنية للأوضاع الخارجة عن سيطرتها. هكذا لم يعد لدى السكان أي ثقة بالقوى الأمنية المتهمة بالتراخي، وبالتحيز لطرف دون آخر. وفي نهاية المطاف، فإن رجال الأمن الذين تم نشرهم في المنطقة منذ

تشرين الثاني/ نوفمبر 2013، ما لبثوا أن تمردوا في تشرين الأول/ أكتوبر 2014، حيث جرى استدعاء الجيش ونشره للمرة الأولى على الأرض.

وافتحت العام 2015 في المزاب بموجة من الاعتداءات والحرائق وتدخل عنيف للشرطة التي استعملت الغاز المسيل للدموع متسببة ب وفاة العديد. وهكذا، بعد فترة قصيرة من زيارة وزير الداخلية، في 2 تموز/ يوليو، بغرض إنشاء

مطلع تموز/ يوليو الجاري، اندلعت اشتباكات في بلدات عدة في وادي المزاب الواقع في ولاية غرداية الصحراوية، على بعد 700 كيلومتر جنوبي العاصمة الجزائرية. تسبب شبان مجهزون بأسلحة بيضاء، وكذلك يقنابل المولوتوف والأسلحة النارية، باشتباكات عنيفة بين المزابيين (أو بني مزاب) والشعانية (أو الشمالية). وفي حصيلة أيام العنف الثلاثة، سجل سقوط 23 قتيلاً وعشرات الجرحى واحترق العديد من المحال والمنازل.

في الرواية التي روجتها وسائل الإعلام لأحداث، يظهر الصراع على أسس طائفية وإثنية بين الأمازيغ الذين يتكلمون البربرية والإباضيين والعرب والمتحدثين باللغة العربية وهم من المالكيين. أما وسائل التواصل الاجتماعي فتختزل وسائل الإعلام «المستقلة» الصراع بمواجهة ثنائية بين المزابيين والشعانية، متجاهلة العديد من الحقائق التاريخية والاجتماعية والسياسية، التي يؤدي غيابها إلى استمرار العنف المتفجر، والتي لو أظهرت لسمحت بفك بعض خصائص هذا العنف.

وادي المزاب: منطقة بثقافات مختلفة

كان وادي المزاب ملاذاً لأتباع المذهب الإباضي، السابق للمدارس الأربعة الأساسية لدى أهل السنة والجماعة، الذين هربوا من البصرة في العراق ليستقروا في جبل نفوسة في ليبيا ومن ثم في الجزائر، حيث أسسوا في العام 761 مملكة تيمرت.

وقد ترك الإباضيون مرغمين هذا المكان في العام 909، وانتقلوا جنوباً باتجاه وادي المزاب، بعدما أمضوا فترة في منطقة ورقلة، حيث نشروا ثقافتهم المدينية. هذه البقعة التي اختاروا الإقامة فيها لم تكن خالية تماماً. إذ كانت ممراً للقبائل الرحل التي احتك بعضها بالإباضيين فبثّوا مذهبهم واستقروا بدورهم في المنطقة. نشأت في وادي المزاب سبع مدن مسيحية (تدعى القصور) هي: العطف في العام 1012، وبنورة في 1065، وغرداية 1085، ومن ثمّ بني برفق 1321 وملكية 1355، وفي وقت لاحق بريان 1631، وأخيراً القراة 1691. في ما يخص الشعانية، فالمعلومات الوثيقة عنهم قليلة، تشير مصادر إلى أنه عند وصول الإباضيين، كانت في المنطقة قبائل رحل متحدرة من قبيلة زيناتة (بربر) وبني هلال (عرب)، بينما تشير مصادر أخرى إلى أن هذه القبائل وصلت لاحقاً. الشعانية، وهم من المالكيين والتاطقين باللغة العربية، وهم بالتأكيد من البربر، لكن يعتبرون أنفسهم عرباً.

اختلط الشعانية بالإباضيين، ونشأت بينهم علاقات تجارية، استقروا في مئدهم حتى القرن الثاني عشر حيث أسسوا في الوادي المجاور مقرهم (قصرهم) الخاص تحت اسم متليي، إلا أنهم كانوا يعودون بقوافلهم بانتظام. لا بد من الإضافة إلى أن هناك مجموعات عُرفت بـ «العرب» استقرت منذ قرون في منطقة (بني مرزوق والمداييح وأولاد نايل..). هذه المجموعات، المتخصصة أحياناً والمتحالفة أحياناً أخرى، شهدت تغييرات متبادلة، فقد اعتنق بعض الإباضيين المذهب المالكي والعكس.

في العام 1317، ولوضع حدّ للخصومات الموجودة بين الطرفين، تمّ توقيع معاهدة بينهما حصل بموجبها استقرار عائلات إباضية في متليي فيما انتقل شعانية إلى مدن (قصور) الإباضيين. وفي القرن الرابع عشر جرى توقيع اتفاقية ثانية. وعلى مرّ العقود، شهدت القصور تدفق المالكيين وكذلك اليهود والمسيحيين، مع استمرار التبادل التجاري وكذلك الثقافي مع الجماعات

الثانوية العامة في مصر

الأرقام القياسية المسجلة.. كارثة!

أسدل الستار على نتائج الشهادة الأهم في حياة الأسر المصرية، الثانوية العامة، بفوز 371 ألف طالب وطالبة، بنسبة نجاح بلغت 79.4 في المئة من إجمالي المتقدمين، بينهم 70 طالباً انضموا إلى لائحة الشرف. إذ بلغ عدد الأوائل في القسم العلمي 57 طالباً بينما كانوا في القسم الأدبي 11 فقط. وحازت شعبة العلوم الأغلبية، بـ42 مقعدا مقابل 17 مقعدا لشعبة الرياضيات ومقعد واحد للمكفوفين، وهي المرة الأولى منذ سنوات التي تفوز به فناة.

البنات في المقدمة

لائحة الشرف هذا العام سجلت رقما قياسيا يحدث لأول مرة في تاريخ شهادة البكالوريا المصرية. ومن الأوائل 70-، هناك 40 فناة متفوقة أي بما نسبته 58 في المئة من الأوائل، وهذا يتناسب مع نسبة عدد البنات الى البنين في الامتحان. كما شهدت نتائج الأوائل احتكارا تاما للبنات في القسم الأدبي، فالـ11 مركزا كانت من نصيبهن، وحزن 25 مركزا في العلمي علوم، ولكن في العلمي رياضيات حصلن على 4 مراكز فقط مقابل 13 للطلاب البنين. وأما الظاهرة الأكثر وضوحا فتتمثل في حصول 6 طلاب على مجموع 100 في المئة، أي الدرجات النهائية في كل المواد الدراسية، منهم 4 طالبات، ثلاث منهن بالعلمي علوم وواحدة بشعبة الرياضيات. ومن اللافت للنظر ان كل الأوائل بدون استثناء أنشادوا بدور الدروس الخصوصية في مسيرة تفوقهم في الثانوية العامة، وأنهم حصلوا عليها في كل المواد الدراسية، وأنهم كانوا ينظمون أوقاتهم بين مواعيد

فكرة

لنأمر بالمعروف

وننهَ عن المنكر!

قبل أيامَ خطب إمام الجامع الكبير في نواكشوط الموريتانية، أحمدو ولد الرابط حبيب الرحمن، بالمصلّين في الجامع الكبير. بين هؤلاء كان الرئيس الموريتاني، الذي خصّه ولد الرابط بطلب يكرّره على الملأ للمرّة الثّانية بعد أن تقدّم به من المكان نفسه في العام 2012. الطلب ببساطة هو إنقاء هيبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «للقضاء على الفساد الذي يعم البلاد»، خاصة أن «الشعب الموريتاني كله مسلم فلا يوجد موريتاني بالأصالة إلا يدين بالإسلام»، حسبما قال الشيخ العام 2012.

ظهرت هذه الفكرة في العام 1977 في خطاب «جماعة المساجد» التي راحت توزّع منشائر في نواكشوط تدعو إلى إلغاء تدريس الفلسفة في المدارس، ومنع الاختلاط، ومنع إرسال الطلاب الصغار إلى الدُول «الملحدة». جماعة المساجد كانت إحدى المجموعات التي ساهمت في دفع الإسلاميين إلى المشهد السياسي الموريتاني أواخر سبعينيات القرن الماضي، لكن الفارق الجوهري بين دعوتها ودعوة ولد الرابط هو أن الأخير يتحدث من داخل السلطة، فهو يعد مفتي موريتانيا، وإن كان قد عارض إنشاء مجلس الفتوى والظالم قبل ثلاثة أعوام.

اسم الهيئة يحيل بالضرورة إلى السعودية حيث تمارس الشرطة الدينية ضوابط لا تنتهي، تطال النساء خصوصاً. اختيار الاسم لم يأت صدفة طبعاً خاصة إذا علمنا أن اسم المفتي يرد في إحدى وثائق وزارة الخارجية السعودية المسربة مؤخراً. في تلك الوثيقة (من العام 2010) يظهر امتعاض إمام المسجد الحرام الشيخ عبد الله بن حميد لما رآه في زيارته إلى موريتانيا من عدم امتثال لما قدّمته الملكة من أفضل لولد الرابط. فالسعودية تقدّم منحاً للرجل وأعوانه وأقاربه للحج وهو يقابلها بإطلاق اسم الجامع الكبير على المسجد الذي مُولّ ببناءه الملك فيصل بن عبد العزيز بدلاً من أن يسميه باسمه مسجد الملك فيصل. للرجل إذاً علاقاته في السعودية وله منحها منها، ولعلّ دعواته إلى إنشاء الهيئة تقع في إطار استعادة الحظوة.

لقيت الدعوة استهجان عدد من الناشطين الحقوقيين، وكانت الناشطة مكفولة بنت إبراهيم أول من استنكر الدعوة، معبرةً عن خشيتها من أن يؤدي إصرار ولد الرابط وغيره من علماء الدين على إقحام الدين في الحياة العامة إلى تغيير عادات المجتمع الموريتاني، بحيث يصير الامتثال لرجال الدين هو الأساس، «وهذا مخيف». علماً أنّ هذا الرجل الذي يدعو إلى إنشاء هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى العمل بالكتاب والسنة، كان قد أتهم العام الماضي من قبل رئيس «حركة المبادرة الانعتاقية» المعنية بمسألة العبودية في موريتانيا بممارسة الاسترقاق وامتلاك عشرات العبيد!

 ربيع مصطفى

وضع الجمع التكراري لدرجات الطلاب المسؤولين عن مكتب تنسيق القبول بالجامعات في مأزق كبير. وجاء قرار تأجيل الاجتماع السنوي لمجلس الجامعات للبحث عن مخرج للأزمة. وليس أمام المجلس إلا التراجع عن قراره السابق بتحديد القبول بالعدد نفسه الذي عمل به في العام الماضي. وزيادة الأعداد المقبولة بمختلف القطاعات، وعلى رأسها ما يوصف بكليات القمة، في القطاعين الطبي والهندسي، وإلا فسوف يغضب الرأي العام والأسر المصرية.

الأزمة انتقلت أيضا إلى الجامعات الخاصة، حيث بدأ التسابق في التقديم إليها، ما أدى بمجلس الجامعات إلى تحديد حد أدنى للطلب بمجموع 95 في المئة و90 في المئة لطلب الاسنان والصيدلة، والأولوية لقبول الأعلى درجات وليس أسبقية الحجز كما كان متبعاً في السنوات السابقة مع رفع المصروفات التي وصلت إلى أقل قليلا من 10 آلاف دولار سنويا لكليات الطب.

على الرغم من الوعود والتصريحات الدائمة على مدار الأربعين عاما الماضية الخاصة بإصلاح منظومة الثانوية العامة، ما زالت شهادة البكالوريا المصرية تمثل كابوسا للأسر المصرية وسدءا سنويا للحكومة والمسؤولين، حيث تتأرجح النتائج بين ما هو تعليمي وما هو سياسي..

 إيمان رسلان
 صحافية من مصر مختصة بالتعليم

مناابعات

من تعبيرات ثورة «الهامش» في تونس

بعد الثورة، عرفت شوارع تونس الكبرى وأحيائها الشعبية انتشاراً هائلاً لأنشطة الاقتصاد «غير النظامي». ومؤخراً، تحول هذا الانتشار إلى هاجس لدى مسؤولي الاقتصاد الرسميين، يبرز في خطابهم بوصفه من مسببات أزمة الاقتصاد الوطني، ومظهرا أساسياً لتراجع «هبة الدولة»، وعجزها عن أداء وظائفها الحيوية، ومنها وظيفة ضبط الفضاء العام وإدارته. والحق أنّ هذا الضرب من الخطاب، بارتكازه على لغة الأرقام الجافة واعتماده مقاربة مركزية دولانية، إنما يحجب الوجوه الفعلية لأنشطة الاقتصاد «غير النظامي» كما تشكلت وتوسّعت في تونس الثائرة.

يتطلب فهم هذه الأنشطة مقاربة محايدة لممارسات فاعليها وموضعها ضمن سياقها الاجتماعي العام، في حي دوار هيشر، أحد أضخم أحياء تونس الشعبية وأقدمها، الواقع بولاية منوبة غرب العاصمة وعلى هوامشها الاجتماعية والمجالية، يضطرّ الكثير من السكان إلى الاستعمال النشط اقتصادياً للشارع، ضمن وضع اجتماعي ينسم بندرة فرص العيشة والهشاشة الفائقة، ويأخذ ذلك صورة تحويل الفضاءات الخارجية للمنازل والأزقة والطرق إلى أسمايل يستثمر في الكسب المادي، من خلال تلويبها لأنشطة تجارية مثل دكاكين بيع المواد الغذائية والكيانك والخردة الصغيرة أو نصب «بسطات» بيع الخضار والفال والملابس.. وحتى استثمار حاويات الفضلات، وهي في معظمها أنشطة «غير نظامية»، أي لا تخضع لمعيار القاعدة القانونية التي تحددها السلطات الحضرية.

«البرابشة» ومصنع البلاستيك

هذا النشاط سمح بدخول فاعلين جدد إلى شوارع دوار هيشر، من بينهم «البرابشة»، أي جامعي الفضلات البلاستيكية والمواد القابلة للتدوير عموماً. ففي ساعات الليل المتأخرة، يجوب «البرابشة» أزقة الحيّ دافعين عرباتهم اليدوية، باحثين في الحاويات عن قوارير الصودا والمياه المعدنية المستعملة، التي تجد طريقها إلى أحد دكاكين التجميع تشتريها بمقابل يخس لا يتجاوز الستين مليماً للقاورة البلاستيكية الواحدة. ومن ثم يعاد بيعها بالجملة إلى مصنع البلاستيك الذي يقع في المنطقة الصناعية بدوار هيشر، ليعاد تدويرها.. «البراباش» لا يمثل سوى فاعل مخصص في حقل اقتصادي واسع، غير أنه الفاعل الأذنّى مكانة والأقل استفادة من الموارد المتداولة ضمنه، ذلك أنه يمارس نشاطاً اقتصاديا شاقاً مقابل كسب مادي يخس. فيحسب ملاحظائنا من خلال الدراسة الميدانية على امتداد عام كامل، يعود إلى بين 568 و645 ملابدية، الذي يعني أن كاتب هذه القصاصات كان معاصرا أي ما يساوي 6 دانير عند البيع لـدكان التجميع. وفي المقابل، يجني أصحاب محال التجميع مآلت الدنانير أسبوعياً دون عناء تقريبا. وقد تكاثرت محال التجميع في الحي بعد الثورة حتى فاق عددها العشرة، وهي تحقق أرباحها من الوساطة بين «البرابشة» ومصانع البلاستيك التي تعتبر الراح الأكبر، إذ تجد يدا عاملة شتّى تضمن لها تجميع المواد الأولية التي تحتاجها في صناعتها، عبر وسط غير مباشر، دون أن تلزم معها برابطة شغلية تعاقدية وقانونية. وذلك وجه سافر للاقتصاد «غير

النظامي» مغيّب في خطابات مسؤولي الدولة في تونس.

قبائل حضرية تحتل الأرصفة

أما في النهار، وقبل انتشار «البرابشة»، فتمتلئ أرصفة شوارع دوار هيشر الرئيسية بنصب بيع الخضار والفال. وتشهد ساعات الذروة بشارع «خالد بن الوليد»، ثاني أكبر شوارع الحيّ، تعطل حركة مرور السيارات لفترات طويلة نتيجة انتشار الباعة وازدحام الملاة والمتسوقين. فقد نمت في هذا الشارع، منذ سنوات عديدة، سوق للخضار والفال هي اليوم أكبر أسواق الحيّ وأكثرها حركة. ولم يمنع الطابع غير النظامي لهذه السوق من نشوء عرف يحكم عمل تجاره ومعاملاتهم البيئية، ففرش النصب في شارع «خالد بن الوليد» غير متاح لأي كان، إذ ينقسم أغلب التجار إلى جماعات يحكم حركة تنازّعها وتوافقها شكل توزيع أرصفة الشوارع وتقسامها، بحيث يجب على أي وافد جديد الاحتماء بإحدى الجماعات في السوق أو استئجار مساحة من الرصيف بمقابل شهري قد يبلغ 150 ديناراً. وتأسس جل هذه الجماعات على رابطة محالية (اسمها «الحومة»)، فجدج أولاد «حومة عوين» و «حومة الشر» الخ...

فدوار هيشر، مثله مثل بقية أحياء تونس الشعبية، ينقسم في داخله إلى مناطق تسمى «حوم». وتعتبر «الحومة» بحق رحما من الأرحام المولدة للهوية والرابط الاجتماعي في تلك الأحياء، ففيها يكتسب الفرد مقدارا و فيرا من تنشئته الاجتماعية، كما تحرف هويته في نظر الآخرين بالإشارة إلى «حومته». ويتم استثمار هذا الانفراس المجالي للهوية بسوق شارع «خالد بن الوليد» في تشكيل جماعات تنظم التجار وتقسّمهم ضمن حركة تنازّعهم حول السيطرة على فضاءات الأرصفة والطرق، بوصفها رأسمالاً قابلا للتداول تجارياً: إنها بمثابة «قبائل حضرية» (بمفهوم عالم الاجتماع الفرنسي «ميشال مافيزولي»). تشتغل خارج نوااميس بيروقراطية الدولة الحديثة، وتبنى فيها العلاقات على الثقة والانتماء والألفة التي تتعارض مع المفولات الحديثة مثل المصلحة الفردية والتعاقد والقواعد الشكلية الثابتة.

ولا يؤثّر ذلك الى أي عداء جوهرائي للحدادنة، بل إن طبيعة مسار التحديث في تاريخ تونس المعاصر هو الذي دفع بقات شعبية واسعة إلى ابتداع أساليب عيش «غير نظامية» في ظلّ تحديث حصري خلق توزيعاً لا متكافئاً في الموارد، وهو ما جعل تلك الفئات مجردة من الموارد الاجتماعية الكفيلة بضمان فرص العيش، فتتسعى إلى اكتسابها من خلال مسارات تخرق قواعد الدولة الحديثة، مثل الانخراط في الاقتصاد «غير النظامي». ذلك ما يرفض مسؤولو الدولة الاعتراف به، فيما يكتفون بإدانة الظاهرة وأقارها السلبية على الاقتصاد الوطني، بدل الإشارة إلى شروط وجودها الفعلية الكامنة في التوزيع الاجتماعي المختل للثروة الذي أنتجه الطابع الحصري لسياسات الدولة الوطنية التحديثية.

النقل السريّ

مع المساء، تزدهم محطة الحافلات الواقعة بمدخل دوار هيشر بالعمال والموظفين والتلاميذ الذين أنهوا لثو يومهم خارج

المنزل. ومن ميّزات هذه المحطة أنّها غير مخصّصة لحافلات النقل العمومي حصراً، بل تستخدمها شاحنات «النقل السري» أيضاً، وهي التسمية التي تطلق في الحيّ على فاعل جديد دخل حقل النقل بعد الثورة، هو عبارة عن مجموعة من الشاحنات الصغيرة المخصصة في الأصل لنقل البضائع، أدخل عليها أصحابها تعديلات كتركيب كراسي أو ألواح في داخلها للجلوس لتندو قابلة لنقل الركاب. وقد أحصينا في دوار هيشر، 45 شاحنة «نقل سريّ». وخلال الأشهر الأولى من الثورة، تعطلت حركة الحافلات العمومية نحو الحيّ بعد أن أحرقت حافلتان منها، وبحسب شهادات سكان الحي، تم الاستيلاء على بقايا الحافلتين وبيعها إلى محال قطع الغيار والخردة. كما تكررت في السنة ذاتها الإضرابات في قطاع النقل، ما سبب شللاً كاملاً في حركة العاصمة.

وفي هذا الظرف، ظهر «النقل السري» الذي يزدهر اليوم على خطين رئيسيين في الحيّ: يقطع الأول الحيّ طوليّاً، ويمتد الثاني من وسط الحيّ إلى محطة الحافلات المركزية بمنطقة «باب الخضراء» في قلب العاصمة. والحق أنّه لا يمكن تفسير ظهور «النقل السري» بالتعطيل الطرقي لحركة النقل العمومي آنذاك، إذ هو يعيش أصلاً أزمة هيكلية، من أبرز مظاهرها عزّزه عن الإيفاء بمتطلبات السكان في فضاء حضري متصاعد الكثافة السكانية. ففي دوار هيشر وحده يقطن 86 824 نسمة، ولا تتوفّر سوى ست حافلات. هكذا يبرز «النقل السري» بوصفه استجابة «غير نظامية» لأزمة هيكلية، وهو ما يفرض مراجعة نقدية للثانية النظامي/ غير النظامي. فالأخير تتشكل ذو نمط انتظام فذ تابع من ممارسات فاعليه وحاجات مستهلكيه، وما يعيّزه فعلاً هو اعتراف السلطات الحضرية الهيمنة.

«الإختراق الصامت لليومي»

تشترك جلّ الممارسات الاقتصادية «غير النظامية» تلك في سمتين رئيسيتين. فهي من جهة قد تشكلت أو توسعت في مجال حضري هامشي ضمن سياق ثوري تعطلت فيه أجهزة المراقبة الحضرية وأصبحت عاجزة عن تادية وظيفتها الضبطية. ومن جهة أخرى، ينظم هذه الممارسات نمط الفعل ذاته، وهو ما يمكن أن نسميه (حسب العبارة الرائعة لعالم الاجتماع الإيراني «أسف بيات» في وصف حركة الفقراء بطهران ما بعد الثورة، بـ «الإختراق الصامت لليومي». ذلك يؤثّر على سعي فئات واسعة من المهشمين الحضّر إلى تحسين فرص معيشتهم وتحصيل موارد جديدة من خلال الاستحواذ غير القانوني على مجالات الفضاء العام واستثمارها في أنشطة اقتصادية، مستغلّين تعطل أجهزة المراقبة الحضرية ضمن سياق ثوري فائر. لقد أفرز المسار الثوري في تونس ديناميكيات اجتماعية وسياسية جديدة تعتمل في «هوامش» المجتمع، يحتاج فهمها إلى مقاربة «من تحت» تقطع مع السردية التي ينسجها «المركز» حولها، ما يمنحنا سردية أخرى للمسار الثوري لم تتشكل بعد في خطاب.

جهاد الحاج سالم

باحث اجتماعي من تونس

في القدس

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»

- الشباب وفرص العمل في الضفة الغربية المحتلة - ياسمين صالح

- هكذا تخاضعت البيوت في مصر - منى سليم

- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

.. بألف كلمة



مدونات

المكتبات مقابر للكتب؟

المسؤولون في جامعة بيرمنغهام يعلنون أنهم اكتشفوا في مكتبة الجامعة أجزاء من القرآن لم يتخيلوا أنها بهذا القدم. فالخطوط في حوزة المكتبة منذ مدة تزيد عن قرن أخضعت لتحليلات معملية لمعرفة تاريخ الكتابة، وأظهرت أن جلد الماعز المكتوبة عليه يعود لا بين 568 و645 ملابدية، الأمر الذي يعني أن كاتب هذه القصاصات كان معاصرا للرسول، وأنها أقدم نسخة من القرآن على الإطلاق. هذا الخبر مهم بحد ذاته، وليس من المستبعد أن تجذب جامعة بيرمنغهام أعدادا هائلة من الصحافيين والأكاديميين لمشاهدة هذه الخطوط الفريدة. ولكن، وبهذه المناسبة، أحب أن ألقت النظر إلى تفصيل صغير في الخبر كما نقلته اللي بي سي، يتعلق بطريقة اكتشاف هذه الخطوط. أحد طلاب الدكتوراه هو من اطلع على المخطوطة، ومن الواضح أنه هو من لفت نظر القائمين على المكتبة لأهميتها.

ألقت النظر لهذا التفصيل للتأكيد على ما زردده مرارا في مصر: أهمية المكتبة لا تقاس بحجم محتوياتها بل باتاحة مقتنياتها للقراء والباحثين؛ فالبحث والقراءة والتنقيب هو ما يحيي الكتب ويخرج ما فيها إلى النور. أما التعميم على المكتبات، وإغلاق سبل البحث في وجه الطلاب والتشديد من الإجراءات الأمنية بزعم الحفاظ على المقتنيات من السرقة والضياع والتلف، فهي التي حولت مكتباتنا العامة إلى مقابر للكتب ومآتم للباحثين.

من صفحة Khaled Fahmy على فايسبوك

من صفحة Soha Hammam على فايسبوك

توضيح حول دور المحامي في موضوع المعتقلين

نظرا لكثرة الرسائل التي تردني وعدم قدرتي على الرد على كل رسالة على حدة فإنني أكتب هذا التوضيح لتابعي صفحتي موضحا فيه الرد على الاستفسارات كافة:

1 - المحامي لا دور له في موضوع المعتقلين الموجودين لدى الأمن. لأنه ببساطة لا يجرؤ على مراجعة الأمن أو السؤال عن معتقل، فضلا عن أن الأمن لا يسمح للمحامين بالراجعة. ومن هنا أقول إن توكيل المحامين للبحث والسؤال عن معتقلين في الأمن هو هدر للمال ومضيعة للوقت.

2 - لا دور للمحامين بالنسبة للمعتقلين الحاليين للمحكمة الميدانية لأن هذه المحكمة لا تسمح للمحامي بالتزافع امامها أو حتى مراجعتها. لذلك فإن توكيل المحامي هنا هو كالضحك على النفس إضافة لصرف المال هباء.

3 - بالنسبة للمعتقلين الموجودين في سجن صيدنايا، لا يسمح للمحامي بزيارتهم أو حتى السؤال عنهم . فقط يسمح للمحامي بالتوكل عن عسكري موجود في صيدنايا ومحال لمحكمة الإرهاب أو القضاء العادي. أما غير ذلك فلا يسمح للمحامي بالتوكل عن العسكريين.

4 - الدور الذي يمكن للمحامي أن يقوم به هو فقط عندما تتم إحالة المعتقل للقضاء العادي أو محكمة الإرهاب، ودوره هنا هو في حضور الاستجواب دون أن يحق له طرح أي سؤال إلا بإذن القاضي وتقديم طلبات إخلاء السبيل له وتقديم مذكرات يشرح فيها حالة موكله ويطلب سماح الشهود إذا كان هناك من داع. وغير ذلك لا يمكن له فعل شيء.

أكتب هذا التوضيح لعل متابعي الصفحة يجدون إجابة على أسئلتهم، وفي قلبي غصة كبيرة على شعوري بالعجز تجاه هذه المسألة التي يعيشها المعتقلون وأهاليهم.

وإني أقدم اعتذاري الشديد سلفا لعجزني عن المساعدة في القضايا المطروحة أعلاه.

من صفحة ميشال شماس على فايسبوك